المحاضرة الاولى////// اليوم الآخر

تعد عقيدة الإيمان باليوم الآخر ركن من أركان الإيمان وان عقيدة البعث والحساب هما جزء من هذا اليوم.

وان الإيمان باليوم الآخر يجعل الإنسان في رقابة دائمة على نفسه، فهذه الرقابة تخلق في هذا الإنسان السعادة والحياة الكريمة ويزهد في الدنيا ويبتعد عن كل الرذائل والتحلي بكل الفضائل.

وفي الجهة الأخرى نجد الإنسان الذي لا يؤمن بهذا اليوم لا يقف أمام عينيه أي شيء يمنعه من فعل المظالم والإفساد في الأرض. فان عقيدة الإيمان باليوم الآخر تكفي وحدها لإيجاد إطار أخلاقي يتحلى به كل أبناء المجتمع، فهي تخلق في هذا المجتمع العزة والكرامة والصبر على المصائب وتخلق في أبناء المجتمع المثابرة على العمل الصالح وترك الرذائل، وهذه الأعمال كي يكتب لها النجاح في الدنيا والفلاح في الآخرة فلا بد ان يكون ذلك بالانقياد إلى أوامر الله تعالى والابتعاد عما نهى عنه، وبهذه الأعمال يكون قلب الانسان قد ملئ بالإيمان والسكينة بخلاف ما يكون عليه المشرك.

فاليوم أصبحت الحاجة ملحة إلى إثارة مثل هذه الموضوعات المهمة، فهي التي تنظم سلوك الإنسان وكل ما زاد الإيمان بها جاءت النتائج الايجابية على ارض الواقع وان عقيدة الإيمان باليوم الآخر هي الموجه لأفكار الإنسان في تصرفاته، فلا يمكن التخلي عنها في أي شأن من شؤون الحياة.

ان الدافع الأساسي في إثارة هذا الموضوع هو ما حصل من أحداث دامية راح ضحيتها آلاف الأبرياء، فنرى أبناء البلد الواحد يتقاتلون فيما بينهم وأبناء المنطقة الواحدة بل حتى الإخوة فيما بينهم زيادة على حبه وحب الرئاسة والتسلط على الآخرين، فإن الزهد في المناصب والكراسي من الأمور الثقيلة على النفس البشرية.

فاليوم قد أصبح من الضروري جداً تذكير الناس بعقيدتهم التي ابتعدوا عنها كل البعد وأصبح الناس في هم الدنيا ونسوا هم الآخرة.

فإن اليوم الآخر هو اليوم الذي يجمع الله فيه الخلائق ليحاسبهم بأعمالهم التي قدموها في الحياة الدنيا دار الابتلاء، ولذلك اليوم عدة خصائص منها: أولاً: عظم ذلك اليوم، وحسبنا أن الله تعالى وصفه بذلك فقال: أَلا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ* لِيَوْمٍ عَظِيمٍ [المطففين:٤-٥].

خصائص منها:

أولاً: عظم ذلك اليوم، وحسبنا أن الله تعالى وصفه بذلك فقال: أَلا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ* لِيَوْمٍ عَظِيمٍ [المطففين:٤-٥].

وذكر هذا الوصف ليعلم الناس أنه أكبر مما يتخيلون.

ثانياً: الرعب والفزع الذي يصيب الناس من هوله، فيذهل الناس، وتضع المرأة الحامل حملها، ويشيب الوليد، قال الله تعالى: يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ [الحج:٢].

وقال سبحانه: فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْماً يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيباً [المزمل:١٧].

ثالثاً: انقطاع علائق الأنساب يوم القيامة؛ كما قال الله تعالى: فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ [المؤمنون:١٠١].

رابعاً: استعداد الكفار للافتداء بكل شيء في سبيل الخلاص من العذاب، قال الله تعالى: وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لافْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ [يونس:٥٤].

خامساً: طول زمانه حتى يظن الناس لطوله أنهم لم يعيشوا في الدنيا إلا ساعة من النهار، كما قال الله تعالى: وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ [يونس:٤٥].

سادساً: تجلي الحقائق وانكشاف الغطاء، قال الله تعالى: وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ* وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ* لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ [قّ:٢٠: ٢٢].

سابعاً: تجلي رب العزة سبحانه وتعالى لعباده وكلامه لهم كفاحاً ليس بينه وبينهم ترجمان ولا حجاب؛ فقد أخرج البخاري في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: ما منكم من أحد إلا وسيكلمه الله يوم القيامة ليس بينه وبينه ترجمان. "وفي رواية: ليس بينه وبينه ترجمان ولا حجاب يحجبه، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم من عمله، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة".

هذه بعض خصائص اليوم الآخر، وهي كثيرة في الكتاب والسنة، إلا أن المقام لا يسمح بالإطالة، وللمزيد من التفاصيل راجع كتاب التذكرة للإمام القرطبي وكتاب اليوم الآخر من سلسلة الدكتور عمر سليمان الأشقر.

والله أعلم.

المحاضرة الثانية: تمني الموت في الشريعة الاسلامية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أما بعد: فتمني الموت بسبب مضار الحياة الدنيا كالمرض والفقر ونحو ذلك لا ينبغي للمسلم، لما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: لا يتمنين أحدكم الموت من ضر أصابه، فإن كان لا بد فاعلاً فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفني ما كانت الوفاة خيراً لي. رواه البخاري . وإنما منع المؤمن من تمني الموت المطلق لأن ذلك مشعر بنوع اعتراض على قدر الله، وفيه حرمان من الأعمال الصالحة التي ترفع درجة المؤمن عند الله، فإن خيرعن القاسِمِ بنِ محمَّدٍ، قال: قالت عائشةُ رَضِيَ اللَّهُ عنه:

((وا رأساهُ! فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم: ذاكِ لو كان وأنا حَيٌّ؛ فأستغْفِرَ لكِ وأدْعُوَ لَكِ. فقالت عائشةُ رَضِيَ اللَّهُ عنه: واثُكْلِيَاه ! واللهِ إنِّي لأظُنُّكَ تُحِبُّ موتي، ولو كان ذاكَ لَظَلِلْتَ آخِرَ يَومِكَ مُعَرِّسًا ببعضِ أزواجِك، فقال النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم: بلْ أنا وا رَأساهُ! لقَدْ هَمَمْتُ- أو أردْتُ- أن أُرْسِلَ إلى أبي بكْرٍ وابنِهِ، وأعهَدَ؛ أن يقولَ القائِلونَ- أو يتمنَّى المُتَمَنُّون- ثم قُلْتُ: يأبى اللهُ ويدفَعُ المؤمنونَ، أو يدفَعُ اللهُ ويأبى المؤمنونَ))

وَجهُ الدَّلالةِ:

أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم شكا وَجَعَه وأَلَمَه

ثانيًا: لأنَّه لم يَثْبُت فيه نهيٌ مقصودٌ

ثالثًا: أنَّ الأنينَ مِن ألَم العِلَّةِ والتأوُّه قد يَغْلبانِ الإنسانَ، ولا يُطيقُ كَفَّهُما عنه، واللهُ تعالى لا يكلِّفُ نفسًا إلَّا وُسْعَها، وليس فى وُسْعِ ابنِ آدَمَ تَرْكُ الاستراحةِ إلى الأنينِ عند الوَجَعِ يشتدُّ به، والألمِ يَنْزِلُ به

الفرع الثَّاني: حُكمُ تمنِّي الموت

يُكرَه تمنِّي الموتِ لِضُرٍّ نَزَلَ به، أمَّا إذا كان لِخَوْفِ فتنةٍ في الدِّينِ فلا يُكْرَه، وهذا باتِّفاقِ المذاهِبِ الفقهيَّةِ الأربعة: الحَنفيَّة، والمالِكيَّة والشَّافعيَّة، والحَنابِلَة

الأدلَّة:

أولًا: من الكتابِ

قولُ مريم: يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا [مريم: ٢٣]

وَجهُ الدَّلالةِ:

أنَّ مريمَ عليها السلامُ تمنَّتِ الموتَ من جهةِ الدِّينِ؛ لوجهين:

الأوَّل: أنَّها خافَتْ أن يُظَنَّ بها الشرُّ في دِينِها وتُعيَّرَ؛ فيفتِنَها ذلك.

الثَّاني: لئلَّا يَقَعَ قَوْمٌ بِسَبَبِها في البُهتانِ، والنِّسبَةِ إلى الزِّنَا

ثانيًا: من السُّنَّة

١- عن أنسِ بنِ مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عنه، أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم قال: ((لا يتمَنَّيَنَّ أحدُكم الموتَ مِنْ ضُرٍّ أصابَه، فإن كان لا بُدَّ فاعِلًا، فليقُلْ: اللَّهُمَّ أَحْيِنِي ما كانَتِ الحياةُ خيرًا لي، وتوفَّنِي إذا كانت الوَفاةُ خيرًا لي))

وَجهُ الدَّلالةِ:

أنَّ قولَه: ((لا يتمَنَّيَنَّ أحدُكم الموتَ مِنْ ضُرٍّ أصابَه)) فيه النهيُ عن تمنِّي الموتِ للضَّرَرِ النَّازِل.

وقوله: ((وتوفَّني إذا كانت الوفاةُ خيرًا لي)) فيه إباحةُ تمنِّي الموتِ؛ خوفًا من أن يُفْتَنَ في دِينِه

٢- عن أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عنه، قال: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ صلَّى الله عليه وسلَّم يقول: ((لن يُدخِلَ أحدًا عَمَلُه الجَنَّةَ، قالوا: ولا أنت يا رسولَ اللهِ؟ قال: لا، ولا أنا،

إلَّا أن يتغَمَّدَنيَ اللهُ بفضلٍ ورحمةٍ، فسَدِّدوا وقارِبُوا، ولا يتمنَيَنَّ أحدُكم الموتَ: إمَّا مُحسِنًا؛ فلعلَّه أن يزدادَ خيرًا، وإمَّا مُسيئًا؛ فلعَلَّه أن يَسْتَعْتِبَ))

٣- عنِ معاذِ بن جبل رَضِيَ اللهُ عنه قال: قال رسولُ اللهِ صلَّى الله عليه وسلَّم: ((أتاني الليلةَ رَبِّي تبارك وتعالى في أحسَنِ صورةٍ.... وقال: يا محمَّدُ إذا صَلَّيْتَ فَقُل: اللَّهُمَّ إنِّي أسألُكَ فِعْلَ الخيراتِ، وتَرْكَ المُنْكَراتِ، وحُبَّ المساكينِ، وأن تَغْفِرَ لي وترحَمَني، وإذا أردْتَ فتنةً في قومٍ فتَوَفَّني غيرَ مَفتونٍ))

وَجهُ الدَّلالةِ:

أنَّ قولَه: ((وإذا أردْتَ فتنةً في قومٍ فتَوَفَّني غيرَ مَفتونٍ)) فيه أنَّه إذا خَشِيَ أن يُصابَ فى دِينِه فله أن يدعوَ بالمَوْتِ قبل أن يُصابَ بذلِكَ

ثالثًا: من الآثار

عن سعيدِ بنِ المُسَيِّب، قال: (لَمَّا صَدَرَ عُمَرُ بنُ الخطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عنه مِن مِنًى، أناخَ بالأَبْطَحِ، ثم كوَّمَ كَوْمَةً بَطحاءَ، ثم طَرَحَ عليها رداءَه واستلقى، ثم مدَّ يَدَه إلى السَّماءِ، فقال: اللَّهُمَّ كَبِرَت سِنِّي، وضَعُفَتْ قُوَّتِي، وانتشَرَتْ رَعِيَّتي، فاقبِضْني إليك غيرَ مُضيِّعٍ ولا مُفرِّطٍ... قال مالِكٌ: قال يحيى بنُ سعيدٍ: قال سعيدُ بنُ المسيِّب: فما انسَلَخَ ذو الحِجَّةِ حتى قُتِلَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عنه) الناس من طال عمره وحسن عمله. أما تمني الشخص الموت شهيداً فهو من أفضل المُنى، وقد تمناه الصالحون قبلنا، وفي الحديث: من طلب الشهادة صادقاً أعطيها ولو لم تصبه. رواه مسلم. وكذلك لا كراهة في تمني الموت إذا خاف المؤمن على نفسه ضرراً في دينه أو فتنة فيه، وقد فعله خلائق من السلف عند خوف الفتنة، كما أن مفهوم الحديث السابق يدل على عدم الكراهة. والله أعلم.

المحاضرة الثالثة/ /// حياة البرزخ

البرزخ: هو ما بين وضع الإنسان في قبره إلى قيام الساعة هذا البرزخ، ما بين وضع الإنسان في قبره إلى أن تقوم الساعة هذا هو البرزخ، فالذين وضعوا في قبورهم في عهد آدم وبعده، هم في البرزخ إلى الآن، إلى يوم القيامة، وهكذا من بعدهم، وهكذا من بعدهم، وهكذا في يومنا من مات الآن صار إلى البرزخ، ويستمر في ذلك إلى أن تقوم الساعة.

حياة البرزخ.. حياة بين حياتين

والبرزخ هو الحاجز بين الشيئين بحيث يمنع من اختلاطهما، يقول سبحانه: (وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا) [الفرقان:٥٣]، جعل بينهما حاجزا. فهناك حاجز بينهم وبين الآخرة، إنها حياة أهل القبور، حياة ما بعد الموت، حياة البرزخ بين الدنيا والآخرة، تستقر فيها أرواح الموتى، وهي عالم روحاني لا يقاس ما فيه على عالم الدنيا المادي، فلا تحكمه قوانين المكان والزمان والمادة؛ بل هو عالم آخر له أحواله وأسراره.

وجاءت النصوص بإثبات الحياة في البرزخ، وهي حياة تخالف الحياة المعهودة في الدنيا، فالله سبحانه جعل الدور ثلاثا: دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار القرار، وجعل لكل دار أحكاما تختص بها، وركب هذا الإنسان من بدن ونفس، وجعل أحكام دار الدنيا على الأبدان والأرواح تبعا لها، وجعل أحكام البرزخ على الأرواح والأبدان تبعا لها، فإذا كان يوم حشر الأجساد، وقيام الناس من قبورهم، صار الحكم والنعيم والعذاب على الأرواح والأجساد ظاهرا أبديا أصلا.

أولا: الآيات القرآنية الدالة على عذاب القبر

قال تعالى: (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحي إلي ولم يوح إليه شيء ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون

على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون) [الأنعام: ٩٣] ففي قوله: (اليوم تجزون عذاب الهون) فالآية تبين المحتضر الكافر، وأنه تأتيه الملائكة، وتخبره أنه سوف يعذب اليوم، يعني يوم موته، وهذا يدل على أن العذاب يكون قبل يوم القيامة، ففي الآية دليل واضح على عذاب القبر، ولو تأخر عنهم العذاب إلى انقضاء الدنيا لما صح أن يقال لهم:

قال تعالى: (وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم *) [التوبة: ١٠١] قوله تعالى: (سنعذبهم مرتين): المرة الأولى في الدنيا من المصائب في النفس أو المال أو الولد أو غيره، وأما المرة الثانية ففي القبر، وأما عذاب الآخرة فذكره بقوله: (ثم يردون إلى عذاب عظيم).

قال تعالى: (فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب * النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) [غافر: ٤٥ ـ ٤٦] وهذا النص من النصوص الصريحة في عذاب القبر، فإن هذا العذاب الذي حصل لقوم فرعون إنما كان بعد موتهم، وأما عذاب الآخرة فهو المذكور بعده بقوله: (أدخلوا آل فرعون أشد العذاب).

قال تعالى: (ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون) [السجدة: ٢١] وقد احتج جماعة منهم عبد الله بن عباس بهذه الآية على عذاب القبر، فإنه سبحانه أخبر أن له فيهم عذابين: أدنى وأكبر، فأخبر أنه يذيقهم بها بعد عذاب الدنيا، ولهذا قال: يعني به عذاب القبر.

قال تعالى: (فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون * يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا ولا هم ينصرون * وإن للذين ظلموا عذابا دون ذلك ولكن أكثرهم لا يعلمون) [الطور: ٤٥ ـ ٤٧] عن قتادة أن ابن عباس كان يقول: إنكم لتجدون عذاب القبر في كتاب الله.

قال تعالى: (ألهاكم التكاثر * حتى زرتم المقابر) [التكاثر: ١ ـ ٢] فيها الحديث عن عذاب القبر.

قال تعالى: (مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا نارا فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا) [نوح: ٢٥] قوله: (فأدخلوا نارا) بعد، وهذا يدل على عذاب القبر.

ثانيا: مستقر الأرواح في البرزخ

تتفاوت أرواح العباد في البرزخ في منازلها، ومن خلال دراسة النصوص الواردة في ذلك يمكن التقسيم التالي:

أرواح الأنبياء:

وهذه تكون في خير المنازل في أعلى عليين، في الرفيق الأعلى، وقد سمعت السيدة عائشة الرسول (ﷺ) في آخر لحظات حياته يقول: «اللهم الرفيق الأعلى».

أرواح الشهداء:

قال تعالى: (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون) [آل عمران: ١٦٩] وأرواحهم في أجواف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل.

أرواح المؤمنين الصالحين: تكون طيورا تعلق في شجر الجنة، قال رسول الله (ﷺ): "إنما نسمة المسلم طير يعلق في شجر الجنة، حتى يرجعها الله إلى جسده إلى يوم القيامة".

والفرق بين أرواح المؤمنين وأرواح الشهداء، أن الشهداء في حواصل طير خضر تسرح متنقلة في رياض الجنة، وتأوي إلى قناديل معلقة في العرش، أما أرواح المؤمنين، فإنها في أجواف طير يعلق في ثمر الجنة، ولا ينتقل في أرجائها.

أرواح العصاة:

سبق وأن ذكرت بعض النصوص التي تبين ما يلاقيه العصاة من العذاب، فمن ذلك أن الذي يكذب الكذبة تبلغ الآفاق، يعذب بكلوب من حديد، يدخل في شدقه حتى يبلغ قفاه، والذي نام عن الصلاة المكتوبة يشدخ رأسه بصخرة، والزناة والزواني يعذبون في ثقب مثل التنور، ضيق أعلاه، وأسفله واسع، توقد النار تحته، والمرابي يسبح في بحر من الدم، وعلى الشط من يلقمه الحجارة.

وقد ذكرنا الأحاديث التي تتحدث عن عذاب الذي لم يكن يستنزه من بوله، والذي يمشي بالنميمة بين الناس، والذي غل من الغنيمة ونحو ذلك.

أرواح الكفار:

في حديث رسول الله (ﷺ) بعدما وصف حال المؤمن إلى أن يبلغ مستقره في الجنة، ذكر حال الكافر، وما يلاقيه عند النزع، وبعد أن تقبض روحه، تخرج منه كأنتن ريح، حتى يأتون به باب الأرض، فيقولن: ما أنتن هذه الريح حتى يأتون به أرواح الكفار.

إن حياة البرزخ -بنعيمه وعذابه- هي حقيقة سيعيشها كل أحد، وهي تدخل في عموم الأدلة المستفيضة ذات الدلالة الواضحة التي لا تقبل تشكيكا أو تحريفا.

والمؤمن الحق، هو الذي يؤمن بما جاء في كتاب الله وسنة رسوله، ويدع أصحاب الأهواء الذين يخضعون الوحي -قرآنا وسنة- لأهوائهم وأقيستهم الفاسدة، وعقولهم القاصرة، مع التأكيد على أنه لا تعارض بين النقل الصحيح والعقل الصريح كما قرر العلماء الأجلاء (رحمهم الله تعالى)، ولكن الأقيسة إذا فسدت، والقلوب إذا مرضت، أتى أصحابها بالعجائب، والله المستعان.

المحاضرة الخامسة////// النفخ في الصور

الصور في لغة العرب هو : القرن (يشبه البوق) وقد سئل رسول الله عن الصور ففسره بما تعرفه العرب من كلامها كما في سنن الترمذي (٣٢٤٤) وغيره عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال أعرابي : يا رسول الله ما الصور ؟ قال : " قرن ينفخ فيه " وصححه الألباني في الصحيحة (١٠٨٠)

وأما الذي يَنفُخ فيه : فقد " اشتهر أنه إسرافيل عليه السلام ، ونقل بعض العلماء الإجماع على ذلك ، ووقع التصريح به في بعض الأحاديث " انظر(فتح الباري ١١ / ٣٦٨)

وقد أخبرنا الرسول صلى الله عليه وسلم أن صاحب الصور مستعد للنفخ فيه منذ أن خلقه الله تعالى كما في المستدرك عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن طرف صاحب الصور منذ وكل به مستعد ينظر نحو العرش ، مخافة أن يؤمر قبل أن يرتد إليه طرفه كأن عينيه كوكبان دريان " وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٠٧٨) .

وقد ذهب أكثر العلماء إلى أن النفخ في الصور يكون مرتين : الأولى يحصل بها الصعق ، والثانية يحصل بها البعث مستدلين بقوله تعالى : (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ) الزمر/٦٨ .

وبما ورد في الأحاديث الصحيحة التي ذكرت هاتين النفختين وما يترتب عليهما من آثار فقد روى البخاري (٤٦٥١) ومسلم (٢٩٥٥) عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما بين النفختين أربعون . قالوا : يا أبا هريرة أربعون يوما ؟ قال : أبيت قالوا أربعون شهرا ؟ قال : أبيت قالوا : أربعون سنة ؟ قال : أبيت . ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل . قال : وليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظما واحدا وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة "

قال النووي : ومعنى قول أبي هريرة (أبيت) أي أبيت أن أجزم أن المراد أربعون يوماً أو سنة أو شهراً بل الذي أجزم به أنها أربعون مجملة . اهـ .

وفي صحيح مسلم (٢٩٤٠) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " .. ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتا ورفع ليتا قال :وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله قال فيصعق ويصعق الناس ثم يرسل الله أو قال ينزل الله مطرا كأنه الطل أو الظل (شك الراوي) فتنبت منه أجساد الناس ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون " وقوله : (أصغى ليتا) : أصغى أي أمال ، والليت هو جانب العنق والمعنى فلا يبقى أحد إلا أمال عنقه ، ورفع عنقه ، وقوله :(يلوط حوض إبله) : أي يطين ويصلح مجمع الماء الذي تشرب منه إبله .(شرح النووي على مسلم ١٨ /٧٦)

ومن العلماء من قال : إنها ثلاث نفخات وزاد فيها نفخة الفزع وأنها تكون قبل نفخة الصعق ثم تليها نفخة الصعق مستندين على ما ورد في قوله تعالى : (وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي

الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ) النمل/٨٧

ولكن لا يلزم من ذكر الصعق في آية والفزع في الأخرى أن لا يحصلا معا من النفخة الأولى بل هما متلازمان فإذا نفخ في الصور فزع الناس فزعاً صعقوا منه وماتوا .

واستدلوا أيضاً ببعض الأحاديث التي ورد فيها أن النفخات ثلاث .

لكن الحديث الذي استدلوا به هو حديث الصور الطويل ؛ وهو حديث ضعيف مضطرب كما يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله . والله أعلم . انظر التذكرة للقرطبي (١٨٤) وفتح الباري (١١ / ٣٦٩) .

فيستفاد مما سبق أن الله تعالى إذا أذن بموت الأحياء أمر ملك الصور أن ينفخ فيه ؛ فينفخ نفخة عظيمة تفزع جميع الخلائق فيصعقون منها ويهلكون ، ثم يمكثون على ذلك مدة قدرها أربعين من غير تحديد بسنة أو شهر أو يوم ـ الله أعلم بمقدارها ـ فتتحلل أجسادهم في هذه المدة ولا يبقى منها إلا عجب الذنب وهو العظم المستدير الذي في أصل الظهر ، ثم يرسل الله سحابا فتمطر مطرا فإذا أصاب الماء هذا العظم نبت منه الجسم كما ينبت النبات ويتركب الخلق من هذا العظم كما بدأ الله الخلق أول مرة يعيده وهو على كل شيء قدير ، ثم ينفخ في الصور نفخة البعث فتعود الأرواح إلى الأجساد فيخرجون من القبور سراعا إلى أرض المحشر نسأل الله رحمته ولطفه